

ما يفصل عن عيد الأضحى عيد الفطر!

رسالة الإلغاء الظرفي للشعيرة.

من قواعد التواصل السياسي للملكية المغربية.¹

Political Communication and Crisis Management in the Moroccan Monarchy:

The Temporary Suspension of the Eid al-Adha Ritual.

د. عبد الرحيم العماري Dr. Abderrahim Elomari

سمية طالبي TALBI Soumiya

كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالمحمدية، المغرب

ملخص :

تشكل الدراسة مدخلاً مناسباً لتأمل نسق التواصل السياسي للملكية المغربية، إذ تُعد الرسالة الملكية الصادرة قبيل عيد الأضحى لسنة 2025 لحظة تواصلية ذات دلالة مركبة، تندرج ضمن استراتيجية رمزية متواصلة. فقرار إلغاء شعيرة الأضحية، وإن استند إلى علة ظرفية اقتصادية واجتماعية، يعكس منطقاً تواصلياً استباقياً يركز على رمزية مزدوجة، دينية ودستورية في آن واحد، ويتقاطع مع أبعاد مؤسسية وسياقية متجددة. يقرأ هذا المقال الخطاب الملكي في ضوء سردية الدولة الاجتماعية، من خلال تحليل مقارن لخطب ملكية سابقة تغطي الفترة ما بين 1999 و2023، مسائلاً بذلك النسق العام للتواصل السياسي الملكي، وموقع الفاعلين المحيطين به. كما يُبرز حضور الثوابت المفاهيمية كالشرعية الرمزية، والمصلحة العامة، ودور المفاصل، ضمن منظومة تواصلية لا تنفصل عن التحولات المجتمعية وسياقات الأزمات المتداخلة. ويمكن القول إن هذه الرسالة، رغم طابعها الظرفي، تُؤسس لنمط تواصلية ملكية ممدود في الزمن، يزاوج بين التوجيه السياسي والاحتواء الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: التواصل السياسي الملكي، الخطاب الملكي – مُجدد السادس، عيد الأضحى، الدولة الاجتماعية، الشرعية الرمزية، النسق التواصلية.

Abstract:

This study represents an entry point for reflecting on the political communication model of the Moroccan monarch. The royal message issued shortly before Eid al-Adha in 2025 is approached as a multi-layered

¹ Ce travail a été réalisé avec le soutien du CNRST dans le cadre du Programme de Bourses des Doctorants Moniteurs «PhD-Associate Scholarship – PASS» dans le domaine du numérique à l'horizon 2027 – Stratégie Nationale Maroc 2030.

communicative moment, that is embedded within a continuous symbolic strategy. The decision to suspend the ritual of sacrifice although it is based on a specific socioeconomic context; it reflects an anticipatory communication process touching dual symbolism, both religious and constitutional, and intersects with renewed institutional and contextual dimensions. The article examines this message in light of the narrative of the social state, through a comparative analysis of royal speeches that were delivered between 1999 and 2023. It questions the broader paradigm of royal political communication and the role of actors surrounding the monarchy. The study also highlights the presence of key conceptual constants, such as symbolic legitimacy, public interest, and the principle of averting harm; all within a communicative system that remains closely tied to evolving societal dynamics and overlapping crises. Ultimately, this message, despite its circumstantial nature, contributes to the shaping of a sustained model of royal communication that combines political direction with social containment.

Keywords: Royal political communication – Royal discourse – Mohammed VI – Eid al-Adha – Social state – Symbolic legitimacy – Averting harm – Communication paradigm.

1. الكلمة المفتاح والدلالة "الدستورية":

-أهاب لغة، في معجم المعاني الجامع مثلاً، يُهَيَّب إِهَابَةً، فهو مُهَيَّب ومنها مُهَاب. و أهاب بصاحبه إلى فعل الخير، ناشده، ودعاه اليه. هذا كما جاء لدى العالم اللغوي والمفسر؛ الزمخشري مُجَّد أبو الفضل ابراهيم بن اسماعيل (467هـ - 538هـ).

خطاب "مناشدة" من رئيس دولة؛ مالك للسلطات، إزاء أزمة ببعدين اقتصادي واجتماعي.
ما يفصلنا عن عيد الأضحى، عيد آخر، له وزنه الديني أيضاً. هو عيد الفطر، بعد شهر كامل من الصيام، شهر رمضان الأبرك، بعادات استهلاكية أصيلة لدى المغاربة.
- ألم تكن الرسالة مالكة لاستراتيجية تواصلية: باستهداف مزدوج (double ciblage) من قبل مؤسسة دستورية على قمة هرم الدولة بالمغرب؟

2. عودة إلى ماض قريب:

شاءت الأقدار أن نتناول -فيما سبق- التواصل السياسي للملكية المغربية في سياقات. منها نقاش حول العشرين سنة الأولى من عهد مُجَّد السادس. نذكر ما افتتحنا به وقتئذ:

>> ما بين خطاب 1999م وخطاب 2019م، قضى مُجَّد السادس عشرين سنة على رأس الدولة المغربية.
بعض "المحللين" اجتهد ليصنف الخطابات وفقاً لمنطق جبلي (أجيال). بدا لنا ذلك فاقدا للبرهنة العلمية من منظور علوم التواصل السياسي !

نرى أن الخطابات محكومة دوماً بثوابت؛ إن على مستوى المضمون، أو على مستوى الشكل.
نعم، توجد وحدات مفهومية نسجت على أساسها خطابات. أشهرها "المشروع الحداثي الديمقراطي" و "المفهوم الجديد للسلطة"، وآخرها "النموذج التنموي الخاص".

بقوة المنطق، يندرج ذلك ضمن استراتيجية تواصلية رسمية، ألم ينعت مُجَّد السادس في البداية بكونه "ملكاً للفقراء"؟ وما [همنّا] في هذه الدراسة، الجواب عن السؤال:

- هل تنتظم خطابات العشرين سنة ضمن نسق أنموذجي (Paradigme) سياسي؟ وهل الفاعلون المحيطون كالناطق الرسمي باسم القصر أو المستشار أو مؤرخ المملكة، يسهمون في إبراز معالمة؟ وكيف تسمي خطابات (كخطاب أين الثروة) مبعثاً للنقاش العام؟

لا بد من أن [نشير] إلى كون الدراسة أنجزت على مراحل ضمن مشروع يتناول خطابات، لا تقف عند حد المناسبات الوطنية، بل تتجاوزها إلى سياقات مؤسسية، كافتتاح البرلمان، والمجلس الأعلى للسلطة القضائية مثلاً، أو تلك الرسائل المرتبطة بتنظيم منتديات عالمية أو وطنية، على سبيل الرعاية أو الإشراف.

من ثوابت الاستراتيجية التواصلية لمحمد السادس: خلافا لوالده، لا يمنح حوارات ولا ندوات صحافية. ربما يعتمد على قنوات أخرى لتصريف وجهات نظره، إضافة إلى خطابه الرسمية. << (الفصل الثاني: "ما بين خطاب 1999م و خطاب 2019م لمحمد السادس عشرون سنة. أية استراتيجية لأي نسق؟" ط2: 2022)

ونكون اليوم مع رسالة، قبيل رمضان 1446هـ بثلاثة أيام، أتت في سياق خاص وبمضمون ظرفي محدد.

3. في سياق ظرفي خاص:

أعلن العاهل المغربي في رسالة تلاها وزير الأوقاف و الشؤون الإسلامية أحمد التوفيق، مساء الأربعاء 26 فبراير 2025 م، عن إلغاء شعيرة ذبح أضحية عيد الأضحى لهذه السنة (1446 هـ / 2025م).
للعاهل المغربي ألقاب دستورية ثلاثة بأدوارها: ملك و رئيس دولة وأمير المؤمنين، بأساسين هما البيعة و الإمامة، وفقا للدساتير الستة (1962 و 1970 و 1972 و 1992 و 1996 و 2011). ظل هذا الركن في هرم الدولة بالمغرب حائزا على هذه الدوائر الدستورية الثلاث، يُشغِّلها بحسب الرهانات الظرفية. هنا إلغاء ظرفي مع إصرار على إقامة طقوس الأضحى الأخرى.

4. مُحمد السادس وجهها لوجه أمام خطاب "السكتة القلبية":

تواصل ما بين 2011م و 2023م.

خطاب " السكتة القلبية" على لسان الحسن الثاني، مثل أبعاد أزمة شاملة عاشها المغرب. إذ عبر تقرير لمؤسسة مالية مانحة عن حجم مُروع للخصائص الاجتماعي.

لهذا حددت دراسة سابقة (كانت بحثا لنيل شهادة جامعية حول موضوع: المسألة الاجتماعية في الخطاب السياسي للمؤسسة الملكية المغربية ما بين 2011 و 2023 النسق والدلالات السياسية)، الإشكالية المحورية في بناء النسق الذي تحضر به المسألة الاجتماعية في الخطاب الملكي خلال الفترة الممتدة بين 2011 و 2023. بل تعدت ذلك إلى ما يمكن صياغته كالاتي:

- إلى أي حد تحضر المسألة الاجتماعية في الخطاب الملكي للملك مُحمد السادس خلال الفترة ما بين 2011 و 2023، وبأية دلالات سياسية؟

وقد تم بذلك الاشتغال:

- أولا: الإطار العام للمسألة الاجتماعية والتواصل السياسي الملكي؛
- ثانيا: حضور المسألة الاجتماعية في الخطاب لمحمد السادس ما بين 2011 و 2023: النسق والدلالات السياسية، ثم فيما بعد بشكل مكثف إثر هزات اجتماعية عبر مظاهر احتجاجية شعبية. [.

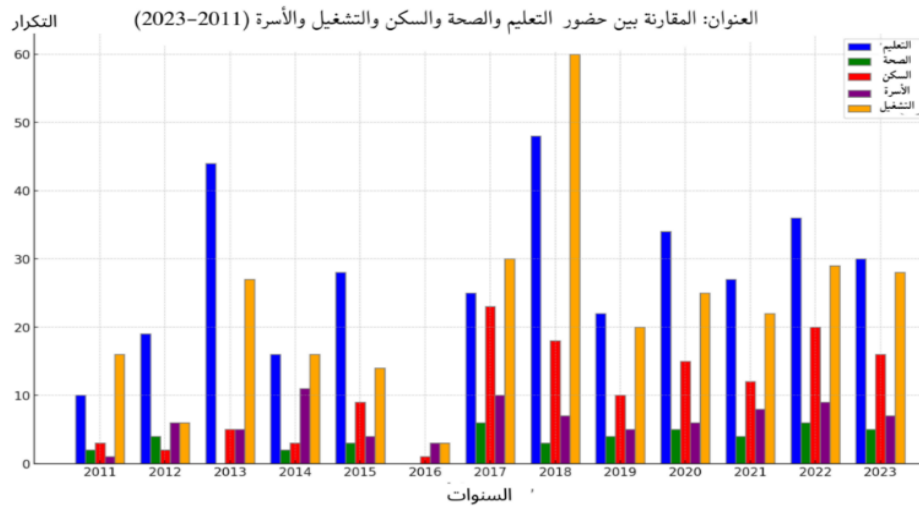
5. من باب الاستخلاص عن تواصل سياسي ملكي/رئاسي:

لاحظ المتتبعون أن المسار الملكي دأب على نخب سياسة القرب في تنزيل مشاريع كبرى، بغاية ضمان شرعية اجتماعية. كثيرا ما خاطب ولاة من الداخلية مخاطبين، بكون هذا أو ذاك من المشاريع، مشروع ملكي.

ولسنوات، اعتمد مُجد السادس منهجية التنقل إلى جهة من الجهات، و البقاء فيها لأيام، مشرفا عن قرب على مشاريع تتوزع بين تحديث بنية تحتية، وتدارك خصائص اجتماعي.

في الرسالة الجامعية المذكورة سلفا، سجّلنا أنه خلال الفترة من 2011 إلى 2023 (مثلا)، أظهرت الخطب الملكية تفاوتاً في التركيز على موضوعات التعليم و الصحة و السكن و الأسرة والتشغيل. كان التعليم الموضوع الأكثر تكراراً، حيث بلغ ذروته في عام 2018. مما يعكس أهميته المستمرة كركيزة أساسية للتنمية.

وجاء التشغيل بعد التعليم في التكرار، مع ذروة بلغها في عام 2013. أما الصحة، فقد شهدت اهتماماً أقل، مع ارتفاعات طفيفة في بعض السنوات مثل 2013 و 2017.



بيان 16: المقارنة بين حضور التعليم والصحة والسكن والأسرة والتشغيل (2011-2023)

وأظهر حضور موضوع السكن تذبذباً في التكرار، مع بعض الارتفاعات الملحوظة في سنوات مثل 2017 و 2022. حافظ موضوع الأسرة على تكرار مستقر نسبياً، مع ارتفاع ملحوظ في عام 2014. و بشكل عام، ركزت الخطب الملكية على التعليم والتشغيل، مقارنة بالصحة والسكن، وحضور -إلى حد ما- ثابت للأسرة كجزء من السياسة الاجتماعية للملكية.

وقد اتضح من خلال التحليل الكمي والكيفي لمختلف المفاهيم المتعلقة بالمسألة الاجتماعية؛ كالتعليم والصحة والتشغيل والسكن إضافة إلى الأسرة، أنها تبدو خاضعة لنسق. هذا على الرغم من أن الظروف السياسية والاقتصادية للعالم والمغرب، كانت في تغير مستمر إثر الجائحة و كارثة الزلزال الطبيعي والتضخم عالمياً. من ثم، يصر النسق العام للتواصل السياسي للمؤسسة الملكية من خلال الخطابات، على المراهنة على الاقتصاد. يرتبط الأمر بالتوجه نحو تطوير الاقتصاد الوطني باعتباره رافعة للأوضاع الاجتماعية للمواطنين. لكن تدفع نسبة التركيز على الإسكان والصحة للتساؤل عن مدى أهمية هذين المحددين في بناء الدولة الاجتماعية المنشودة.

نشير إلى كون المبيان السادس عشر، المشار إليه سلفا، كان تركيبا شخصيا في الرسالة الجامعية المذكورة عن المسألة الاجتماعية في الخطاب السياسي للمؤسسة الملكية المغربية. إذ قَدِّم صيغة مقارنة بمثابة عصارة لمعطيات المبيانات الواردة في الباب الثاني.

6. تاريخ الإلغاء الظرفي لشعيرة عيد الأضحى بالعلة الفقهية ذاتها.

طيلة إقامته بالمغرب إبان الحماية، غير ما مرة، ردد الجنرال ليوطي قاعدة بعد استيعابه للدراسات الاجتماعية والإنسانية (Anthropologiques) وتقارير ضباط شؤون الأهالي (الشؤون العامة)، غير أنهم مقولة "قد يبالغ المغربي في احترام المخزن، لكن عندما ينتفض يأني على الأخضر واليابس".

تجلت قاعدة ليوطي في القولة التالية: "حُكِمَ المغرب [معناه] أن يسقط المطر".

(Gouverner le Maroc, c'est pleuvoir).

دوما الجفاف هو أصل الإلغاء الظرفي بالنسبة لحالات ثلاث. على الرغم من أن حالة سنة 1963م كانت بسبب أزمة اقتصادية، مع عوامل صارمة كحرب الرمال ضد الجيش الجزائري.

سنة 1981م عانى منه المغرب. كان جفافا صعبا. أدى إلى توتر اجتماعي ما زالت آثاره. أحداث 1981م بالدار البيضاء معلومة، إثر قرار الحكومة الزيادة في أثمان المواد الاستهلاكية الأساسية و الشروع في تطبيق برنامج التقويم الهيكلي (pas). سنة 1996م، يعلن الحسن الثاني إلغاء الشعيرة إبان أزمة شاملة من دواعيها جفاف قاس.

ثلاث مرات في عهد الحسن الثاني والمرة الأولى في عهد خلفه للسبب ذاته، الذي من تداعياته التراجع الكبير في أعداد الماشية (ما يقل عن مليونين، وتحتاج إقامة الشعيرة حول ستة ملايين)، وذيوله على المستويين الاجتماعي والاقتصادي. تكمن علة <<الضرر المحقق>> إزاء إقامة <<سنة مؤكدة>> كما جاء في الرسالة، في إقرار <<بجلب المصلحة>> و <<درء المفسدة>> للأمة. هما قاعدتان فقهيّتان، بُني عليهما علم أصول الفقه، كما لدى الإمام أبي إسحاق الشاطبي في "الموافقات في أصول الأحكام". بل ستتوسعان بشكل تنظيري متميز في مجالات علمية أخرى <<كعلم العمران البشري>>، كما في <<المقدمة>> لعبد الرحمن ابن خلدون.

ترسم - من ثمة - أنوية التواصل السياسي للملكية المغربية، بسردية تاريخية رسمية، كالأتي:

- أ- مُجَّد الخامس أو سلطان "الجهاد الأكبر بعد الأصغر"، ببعد تاريخي (مع الحركة الوطنية المغربية).
- ب- الحسن الثاني أو سلطان "الدولة المركزية" بشرعية مؤسسية، تقليدية في العمق حدثية في السطح، خصوصا عبر مؤسسات كالجيش والأمن بشقيهما العلني والسري.
- ت- مُجَّد السادس أو "ملك الفقراء" بشرعية وراثية و بامتداد اجتماعي وسياسي (المشروع الحدائي-الديمقراطي والملكية المواطنة و النموذج التنموي الخاص.... إلخ).

غير أن المسبق الثقافي-السياسي (le pré-construit politique/culturel) يظل حاضرا عبر مؤسسة (المخزن)، خصوصا عبر المظاهر التواصلية الرمزية للمؤسسة الملكية.

تأسيسا على كل ما سبق، تتمثل دلالات رسالة الإلغاء الظرفي لشعيرة الأضحى كالآتي:

1. الرسالة السياسية اللحظية والهادفة: "قرب من الفئات الواسعة للشعب المغربي".
2. بتواصل ممدود ومستدام حتى في المجال الشخصي غير مؤطر دستوريا. نوقشت في فرنسا بعد شارل دو كول وجورج بومبيدو و فرانسوا ميران، دستورية الملف الطبي لرئيس الدولة وإكراه السر المهني وحرمة الحياة الخاصة كجزء من الدائرة الخاصة (la sphère privée) في المنظومة الليبرالية.

يتبع الرسالة، بلاغ وزارة القصور و التشريعات عن صحة الملك، و عن إعادة النظر في الأنشطة المعتادة خلال شهر رمضان. منها ما تم تداوله عن الدروس الحسنية.

3. تواصل سياسي مكثف ومتسارع وهادف ومستدام، بالموازاة مع سرعة إنتاج وتداول المعلومة عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وتجاوزه بكثير للوسائط السمعية-البصرية في الإعلام السمعي-البصري والرقمي الرسمي بالمغرب. كما أن البعد المذهبي للتيسير، ووسطية الإسلام باعتداله ضد كل شكل من أشكال التشدد و التكلف، ثابت كخلفية وراء رسالة الإلغاء الظرفي، ومؤطر فقها لها بأكملها.

7- منطق تواصل إزاء الأزمة:

غداة إلقاء الرسالة، تجلت النتائج متسارعة، منها الآتي؛

1. انتقلت أسعار اللحوم الحمراء مما يفوق 110 د إلى 80 د، للكيلوغرام من "البقري" مع بداية دخول "الغنمي" إلى الأسواق (هبة بريس، 27 فبراير 2025).
2. انهارت أسعار المواشي بخوالي 40 في المئة، إذ بدأ شناعة ومضاربو عيد الأضحى في التخلص من الأغنام والأبقار، بعدما اقتنوها بأثمنة منخفضة، تحسبا لسوق مشتعل قبيل عيد الأضحى المقبل (Rue20.com/881425.html).

3. تهاوت أسعار بعض الأعلاف، خصوصا (التبن). (م.ن)

ولقد احتلت واقعة مول الحوت (شاب مغربي) بائع السردين ب 5 دراهم، وإعادة الاعتبار له بعد إغلاق محله، مع أخبار عن إعفاء "القائد" الذي أغلق له المحل، حيزا إعلاميا واسعا طال التواصل البرلماني والحكومي على حد سواء. لي طرح من جديد سؤال الاقتصاد الاجتماعي والتضامني بإجراءات منها الضريبة على الثروة، بعد إعادة توزيعها، وقوانين تنظيم الأسواق، و تأطير منظومة الحماية الاجتماعية مع القطع مع الاقتصاد الموازي والاحتكار والريع.

ختاما يؤطر الرسالة منطق تواصل استباقي (Une logique d'anticipation).

أوردت مواقع من وسائط التواصل الاجتماعي أخباراً عن حملة لمقاطعة السريدين بعد إغلاق محل مول الحوت ب 5دراهم.

-ألم يكن خطاب 9 مارس 2011 بالمنطق الاستباقي ذاته؟ ألم يكن القصد الآن في الاستراتيجية التواصلية عبر رسالة لتخفيف العبء عن الفئات الشعبية الواسعة طيلة شهر رمضان بهدف مزدوج (double)؛ آني قبل عيد الفطر، وبعدي قبل عيد الأضحى؟ هذه من القواعد المستجدة لتواصل الملكية المغربية مع مُجدِّ السادس، بإصرار على توفير رأس مال رمزي للملكية الاجتماعية مؤسسيا (بمؤسسة خاصة للعمل الاجتماعي)، ودستوريا هي تنفيذية.